٣ ـ العبــادة

التحقيق اللغوي :

العبودةوالعبودية والعبدية ؛ معناها اللغوي(١) : الخضوع والتذلل ، أي استسلام المرء وانقياده لأحد غيره انقياداً لامقاومة معه ولا عدول عنه ولا عصيان له ، حتى يستخدمه هو حسب مايرضى وكيف مايشاء .

---

(١) قال ابن فارس في (مقاييس اللغة) ٢٠٥/٥ في مادة (عبد) : عبد) : « العين والباء أصلان صحيحان ، كأنهما متضادان ، والأول من ذينك الأصلين يدل على لين وذل ، والآخر على شدة وغلظ » . اهـ

وقال ابن سيده في المخصص) ٩٦/١٣ :

« أصل العبادة في اللغة : التذليل ، ... والعبادة والخضوع والتذلل والاستكانة قرائب في المعاني ، ... وكل خضوع ليس فوقه خضوع فهو عبادة ، طاعة كان للمعبود أو غير طاعة ، وكل طاعة لله على جهة الخضوع والتذلل فهي عبادة والعبادة نوع من الخضوع لايستحقه إلا المنعم بأعلى أجناس النعم كالحياة والفهم والسمع والبصر ، والشكر والعبادة لاتستحق إلا بالنعمة ، لأن أقل القليل من العبادة يكبر عن أن يستحقه إلا من كان له أعلى جنس من النعمة إلا الله سبحانه فلذلك لايستحق العبادة إلا الله . » . اهـ

وعلى ذلك تقول العرب : (بعير معبَّد) للبعير السلس المنقـــاد ، و (طريق معبَّد) للطريق الممهد الوطء . ومن هذا الأصل اللغوي نشأت في مادة هذه الكلمة معـاني العبودية والاطاعة والتأله والخدمة والقيد والمنع . فقد جاء في لسان العرب تحت مادة (ع ب د) مانلخصه فيما يلي (١) :

(١) (العَبْدُ) المملوك خلاف الحر : (تعبَّـد الرجلَ) : اتخذه عبداً أي مملوكاً أو عامله معاملة العبد ، وكذلك (عبَّد الرجلَ وأعبَدَهُ واعتَبَدَهُ) وقـد جـاء في الحديث الشريف : ثلاثة أنا خصمهم : رجل اعتبد محرراً ـــ وفي رواية أعْبَدُ محرَّراً ـ أي اتخذ رجلاً حراً عبداً له ومملوكاً : وفي القرآن أن موسى عليه السلام قال لفرعون : وتِلكَ نِعْمَةٌ تمُنُّها عليَّ أن عبَّدتَ بني إسرائيلَ) أي اتخذتهم عبيداً لك .

(٢) (العبـادة) الطاعة مع الخضوع : ويقال (عَبَدَ الطاغوتَ) أي أطاعه ؛ (إياك نعبد) أي نطيع الطاعة التي يُخضع معها ؛ و (اعبُدوا ربَّكمْ) أي أطيعوا ربَّكم ؛ و (قومُهُما لنا عابدونَ) أي دائنون وكل من دان لملك فهو عابد له ؛ وقال ابن الأنباري : (فلان عابد) وهو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره .

---

(١) انظر (لسان العرب) ٤/٢٥٩ - ٢٦٩

(٣) (عَبَـــدَه عِبادةً ومَعْبَداً ومَعْبَدةً) تألّه لـه . و (التعبّـد) : التنسّك . هو (المعبّد) المكرم المعظم : كأنه يعبد . قال الشاعر :

أرى المـال عند الباخلين معبداً

(٤) (وعبَدَ به) : لزمه فلم يفارقه .

(٥) (ماعبَدَك عني) أي ماحبسك .

ويتضح من هذا الشرح اللغوي لمـادة (ع ب د) ان مفهومها الأساسي أن يذعن المرء لعلاء أحد وغلبته ، ثم ينزل له عن حريته واستقلاله ويترك إزاءه كل المقاومة والعصيان وينقاد له انقيـاداً . وهذه هي حقيقة العبدية والعبودية ، ومن ذلك أن أول مايتمثل في ذهن العربي لمجرد سماعه كلمة (العبـد) و (العبـادة) هو تصور العبدية والعبودية . وبمـا أن وظيفة العبد الحقيقية هي إطاعة سيده وامتثال أوامره ، فحتماً يتبعه تصور الإطاعة . ثم إذا كان العبـد لم يقف به الأمر على أن يكون قد أسلم نفسه لسيده طاعة وتذللاً ، بل كان مع ذلك يعتقد بعلائه ويعترف بعلو شأنه وكان قلبه مفعماً بعواطف الشكر والامتنان على نعمه وأياديه ، فإنه يبالغ في تمجيده وتعظيمه ويتفنن في إبداء الشكر على آلائه وفي أداء شعائر العبدية له ، وكل ذلك اسمه التألّه والتنسّك . وهذا التصور لاينضم إلى معاني العبدية إلا إذا كان العبد لايخضع لسيده رأسه فحسب ، بل يخضع معه قلبه أيضاً . وأما المفهومان الباقيان فانهما تصوران فرعيان لا أصليان للعبدية .

استعمال كلمة العبادة في القرآن

وإذا رجعنا إلى القرآن بعد هذا التحقيق اللغوي رأينا أن كلمة (العبادة) قد وردت فيه غالباً في المعاني الثلاثة الأولى . ففي بعض المواضع قد أريد بها المعنيان الأول والثاني معاً ، وفي الأخرى المعنى الثاني وحده ، وفي الثالثة المعنى الثالث فحسب ، كما قد استعملت في مواضع أخرى بمعانيها الثلاثة في آن واحد . أمّا أمثلة ورودها بالمعنيين الأول والثاني في القرآن فهي :

(ثُمَّ أرسَلنا موسى وَأَخاهُ هَارونَ بآياتِنا وَسلطانٍ مُبين . إلى فِرعَونَ وملئِهِ فاستكبروا وَكانوا قوماً عَالينَ . فَقَالوا أنؤمِنُ لبَشَرينِ مِثلِنا وَقومُهُما لَنا عَابِدونَ[1] .)

(المؤمنون : ٤٥ - ٤٧)

(وتِلكَ نِعمَةٌ تَمُنُّها عَليَّ أنْ عبَّدتَ بني إسرائيلَ[2] .)

(الشعراء : ٢٢)

---

(١) قال الإمام الطبري في التفسير ١٨/١٩ : « ... لنا عابدون : يعنون أنهم لهم مطيعون متذللون يأتمرون لأمرهم ويدينون لهم ، والعرب تسمى كل من دان لملك عابداً له . ا ه

(٢) قال الطبري في التفسير ١٩/٣٣ : « ويعني بقوله (عبدت بني إسرائيل) ان اتخذتهم عبيداً لك » . ا ه ، وفيه عن مجاهد « قال : قهرتهم واستعملتهم » وعن ابن جريج « قال : قهرت وغلبت واستعملت بني إسرائيل » .

والمراد بالعبادة في كلتا الآيتين هو العبودية والاطاعة . فقال فرعون : ان قوم موسى وهارون عابدون لنا ، أي عبيد لنا وخاضعون لأمرنا ، وقال موسى : إنك عبّدت بني إسرائيل ، اتخذتهم عبيداً وتستخدمهم حسب ما تشاء وترضى .

العبادة بمعنى العبودية والاطاعة

(ياأيُّها الذينَ آمَنوا كُلوا مِنْ طيِّبَات مارزقْنا كُمْ وَاشكرُوا لله إِنْ كُنْتم إياهُ تَعبدون[1]) (البقرة ١٧٢)

ان المناسبة التي أنزلت بها هذه الآية هي أن العرب قبل الاسلام كانوا يتقيدون بأنواع من القيود في المآكل والمشارب ، امتثالاً لأوامر أئمتهم الدينيين واتباعاً لأوهام آبائهم الأولين ، فلما أسلموا قال الله تعالى:

---

(١) قال الطبري في التفسير ٢ / ٥٠ : إن كنتم إياه تعبدون : يقول : إن كنتم منقادين لأمره ، سامعين مطيعين فكلوا مما أباح لكم أكله وحلاله وطيبه لكم ودعوا في تحريمه خطوات الشيطان ، . . وهو الذي ندبهم إلى أكله ونهاهم عن اعتقاد تحريمه ، إذ كان تحريمهم إياه في الجاهلية طاعة منهم للشيطان ، واتباعاً لأهل الكفر منهم بالله من الآباء والاسلاف » . اهـ .

إن كنتم تعبدونني فعليكم أن تحطموا جميع تلك القيود وتأكلوا ما أحللته لكم هنيئاً مريئاً ، ومعناه أنكم إن لم تكونوا عباداً لأحباركم وأئمتكم ، بل لله تعالى وحده ، وإن كنتم قد هجرتم طاعتهم إلى طاعته ، فقد وجب عليكم أن تتبعوا ما وضعه لكم من الحدود ، لا ما وضعوه ، في الحلال والحرام . ومن ذلك جاءت كلمة (العبادة) في هذا الموضع أيضاً بمعاني العبودية والاطاعة .

(قُلْ هَلْ أُنبِّئُكُمْ بِشَرٍّ من ذلكَ مثُوبةً عِندَ اللهِ مَنْ لعنَهُ اللهُ وغَضِبَ عَلَيْهِ وجَعلَ منهم القردَةَ والخنازيرَ وَعَبَدَ الطّاغُوتَ .)[1] (المائدة : ٦٠)

(وَلقَدْ بَعَثْنا في كُلِ أمّةٍ رسُولاً أَن اعبــــدُوا اللهَ وَاجتنبوا الطّاغُوتَ .) (النحل : ٣٦)

---

(١) قال الطبري في تفسير « الطاغوت » بعد أن نقل أقوال بعض أهل التفسير ٣/١٣ ، « والصواب من القول عندي أنه كل ذي طغيان على الله ، فعبد من دونه ، اما بقهر منه لمن عبده : واما بطاعة ممن عبده له ، انساناً كان ذلك المعبود أو شيطاناً او وثناً أو صنماً أو كائناً ما كان من شيء ، وأرى أن أصل الطاغوت : الطغوت من قول القائل : طغا فلان يطغو : إذا عدا قدره فتجـــاوز حده» . وانظر تفسير الأستاذ المودودي للطاغوت بنحو من هذا ص ٩٧ من هذا الكتاب .

(وَالذِينَ اجتَنبُوا الطَّاغوتَ أَن يَعبدُوهَا وأَنابوا إِلى اللهِ لَهُمُ البُشْرى.) (الزمر : ١٧)

المراد بعبادة الطاغوت في كل من هذه الآيات الثلاث هو العبودية للطاغوت وإطاعته . ومعنى الطاغوت في إصطلاح القرآن – كما سبقت الاشارة إليه – كل دولة أو سلطة وكل إمامة أو قيادة تبغي على الله وتتمرّد ، ثم تنفذ حكمها في أرضه وتحمل عباده على طاعتها بالإكراه أو بالإغراء أو بالتعليم الفاسد. فاستسلام المرء لمثل تلك السلطة وتلك الامامة والزعامة وتعبُّده لها ثم طاعته إياها – كل ذلك منه عبادة – ولا شك – للطاغوت!

العبادة بمعنى الطاعة

وخذ بعد ذلك الآيات التي قد وردت فيها كلمة (العبادة) بمعناها الثاني فحسب ؛ قال الله تعالى :

(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيكُم يَابَني آدمَ أَنْ لاتعبُدوا الشيطَانَ إِنهُ لَكُمْ عَدُوٌ مبينٌ .) (يس : ٦٠)

الظاهر أنه لايتألّه أحد للشيطان في هذه الدنيا ، بل كل يلعنه ويطرده من نفسه ، لذلك فإن الجريمة التي يصم بها الله تعالى بني آدم

يوم القيامة ليست تألههم للشيطان في الحياة الدنيا ، بل إطاعتهم لأمره واتباعهم لحكمه وتسرّعهم إلى السُبُل التي أرادهم إياها .

(احْشروا الذينَ ظَلَموا وأزْواجهُمْ وَماكانوا يَعْبدونَ . مِن دونِ اللهِ فاهدوهُمْ إلى صِراط الجحيم)... (وأقْبَلَ بعضُهمْ عَلى بعض يتساءلون . قالوا إنّكُم كُنْتمْ تأتوننا عن اليَمين . قالوا بلْ لَمْ تكونوا مؤمنينَ . وماكانَ لنا عليكُمْ مِن سلطانٍ بلْ كُنتم قوماً طاغِينَ .)

(الصافّات : ٢٢ - ٢٣ ، ٢٧ - ٣٠)

ويتضح بامعان النظر في هذه المحاورة التي حكاها القرآن بين العابدين وبين ماكانوا يعبدون ، أن ليس المراد بالمعبودين في هذا المقام الآلهة والأصنام التي كان يتأله لها القوم، بل المراد أولئك الأئمة والهداة الذين أضلوا الخلق متظاهرين بالنصح، وتمثلوا للناس في لبوس القديسين المطهّرين، فخدعوهم بسبحاتهم وجبّاتهم وجعلوهم تبعاً لهم ، والذين أشاعوا فيهم الشر والفساد باسم النصح والاصلاح . فالتقليد الأعمى لأولئك الخداعين والاتباع لأحكامهم هو الذي قد عبر الله عنه بكلمة العبادة في هذه الآية.

(اتّخذوا أَحبارَهُمْ ورُهبانَهُمْ أَرباباً من دونِ اللهِ والمسيحَ بن

مَرْيمَ وما أمِروا إلاّ ليَعبدُوا إلهاً واحداً) (التوبة : ٣١)

والمراد باتخاذ العلماء والأحبار أرباباً من دون الله ثم عبادتهم في هذه الآية هو الايمان بكونهم مالكي الأمر والنهي ، والاطاعة لأحكامهم بدون سند من عند الله أو الرسول ، وقد صرح بهذا المعنى رسول الله ﷺ نفسه في الأحاديث الصحيحة ، فلما قيل له : إننا لم نعبد علماءنا وأحبارنا ، قال : ألم تحلوا ما أحلوه وتحرّموا ما حرّموه ؟

العبادة بمعنى التألُّه

ولننظر بعد ذلك في الآيات التي قد وردت فيها كلمة (العبادة) بمعناها الثالث . وليكن منك على ذكر في هذا المقام أن العبادة بمعنى التألّه تشتمل على أمرين اثنين حسبما يدل عليه القرآن :

أولهما : أن يؤدي المرء لأحد من الشعائر كالسجود والركوع والقيام والطواف وتقبيل عتبة الباب والنذر والنسك ، ما يؤديه عادة بقصد التألّه والتنسّك ، ولا عبرة بأن يكون المرء يعتقده إلهاً أعلى مستقلاً بذاته ، أو يأتي بكل ذلك إياه وسيلة للشفاعة والزلفى إليه أو مؤمناً بكونه شريكاً للاله الأعلى وتابعاً له في تدبير أمر هذا العالم .

والثاني : أن يظن المرء أحداً مسيطراً على نظام الأسباب في هذا العالم ثم يدعوه في حاجته ويستغيث به في ضره وآفته ، ويعوذ به عند نزول الاهوال ونقص الأنفس والاموال .

فهذان لوجهان من كلاهما داخل في معاني التــأله ، والشاهد بذلك ما يأتي من آيات القرآن :

(قُـلْ إني نُهيتُ أنْ أعبُدَ الذين تَـدْعونَ مِنْ دونِ اللهِ لما جاءنيَ البيّناتُ من ربي .) (غافر : ٦٦)

(وأعتزِلُـكم وما تَدعونَ مِنْ دونِ اللهِ وأدعو ربي)..
(فلما اعتزَلهم وما يَعبدونَ مِنْ دونِ اللهِ وهبنا لهُ إسحاقَ ،)
(مريم : ٤٨ ، ٤٩)

(ومَنْ أَضلُّ مِمَّنْ يدعو مِنْ دونِ اللهِ مَنْ لايستجيبُ لهُ إلى يَومِ القيامَةِ وَهُمْ عَنْ دعائهم غافِلونَ . وإذا حُشِرَ النَّاسُ كانوا لهمْ أعداء وكانوا بِعبَادتهم كافرينَ [1] .)
(الاحقاف : ٥ — ٦)

ففي كل من هذه الآيات الثلاث قد صرح القرآن نفسه بأن المراد بالعبادة فيها هو الدعاء والاستغاثة .

---

(١) أي يقولون اننا لم نأمرهم بأن يعبدونا ، ولم نعلم أنهم كانوا يعبــدوننا .

(بَل كَانوا يَعبُدونَ الجنَّ أكثرُهمْ بهمْ مؤمنونَ .)

(سبأ : ٤١)

والمراد بعبادة الجن والايمان بهم في هذه الآية ، تفصله الآية الآتية من سورة الجن :

(وأنهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الانس يَعوذونَ بِرِجَالٍ مِن الجنِّ .)

(الجن : ٦)

فيتبين منه أن المراد بعبادة الجن هو العياذ بهم واللجوء إليهم في الأهوال ونقص الأموال والأنفس ، كما أن المراد بالايمان بهم هو الاعتقاد بقدرتهم على الاعاذة والمحافظة .

(وَيَومَ يَحشُرهمْ وَمَا يَعبدونَ مِنْ دونِ اللهِ فَيَقولُ أَأَنتُمْ أَضللتمْ عِبَادي هؤلاءِ أَمْ هُمْ ضَلوا السبيلَ . قَالوا سُبحانَكَ مَاكانَ يَنبغي لَنا انْ نتَّخِذَ من دونِك من أولياء[1] .)

(الفرقان : ١٧ – ١٨)

---

(٢) قال الطبري في تفسيره ٨ / ١٤١ : « يقول تعالى ذكره : ويوم نحشر هؤلاء المكذبين بالساعة العابدين الأوثان وما يعبدونَ من دون الله من الملائكة والإنس والجن .. » اهـ .

ويتجلى من بيان هذه الآية أن المقصود بالمعبودين فيها هم الأولياء والأنبياء والصلحاء والمراد بعبادتهم هو الاعتقاد بكونهم أجل وأرفع من خصائص العبدية والظن بكونهم متصفين بصفات الألوهية وقادرين على الاعانة الغيبية وكشف الضر ، والاغاثة ، ثم القيام بين يديهم بشعائر التكريم والتعظيم مما يكاد يكون تألهاً وقنوتاً ! .

(وَيومَ يَحشرُهُمْ جميعاً ثمَّ يقولُ للملئكَةِ أهؤلاءِ إياكم كَانوا يَعبُدون . قَالوا سُبحانَكَ أَنتَ وَليُّنا من دونهمْ .)

(سبأ : ٤٠ – ٤١)

والمقصود بعبادة الملائكة (١) في هذه الآية هو التأله والخضوع لهياكلهم وتماثيلهم الخيالية ، كما كان يفعله أهل الجاهلية ، وكان غرضهم من وراء ذلك أن يرضوهم ، فيستعطفوهم ويستعينوا بهم في شؤون حياتهم الدنيا .

(ويعبدونَ من دونِ الله مالا يَضرُّهمْ ولا يَنفَعهُم ويقولونَ هؤلاءِ شُفعاؤنا عندَ الله .) (يونس ١٨)

---

(١) وهؤلاء الملائكة قد جعلتها الأمم المشركة الأخرى آلهة لها (Gods)

والذينَ اتَّخذوا من دونِه أولياءَ مَانعبُدهمْ إلا ليُقرِّبونا إلى اللهِ زلفى .) (الزمر : ٣)

والمراد بالعبادة في هذه الآية أيضاً هو التأله ، وقد فصل فيها أيضاً الغرض الذي كانوا لأجله يعبدونهم .

العبادة بمعنى العبودية والاطاعة والتأله

ويتضح كل الوضوح من جميع ما تقدم من الأمثلة أن كلمة (العبادة) في القرآن قد استعملت في بعض المواضع بمعنيي العبودية والاطاعة وفي الأخرى بمعنى الاطاعة فحسب ، وفي الثالثة بمعنى التأله وحده والآن قبل أن نسوق لك الأمثلة التي قد جاءت فيها كلمه (العبادة) شاملة لجميع المعاني الثلاثة ، لابد أن تكون على ذكر من بعض الأمور الأولية .

إن الأمثلة التي قد سردناها آنفاً ، تتضمن جميعاً ذكر عبادة غير الله ، أما الآيات التي قد وردت فيها كلمة (العبادة) بمعنيي العبودية والاطاعة ، فإن المراد بالمعبود فيها إما الشيطان ، واما الأناس المتمردون الذين جعلوا أنفسهم طواغيت ، فحملوا عباد الله على عبادتهم وإطاعتهم بدلاً من عبادة الله وإطاعته ، أو هم الأئمة والزعماء الذين قادوا الناس إلى ما اخترعوه من سبل الحياة وطرق المعاش جاعلين

كتاب الله وراء ظهرهم . وأما الايات التي قد وردت فيها (العبادة) بمعنى التأله ، فإن المعبود فيها عبارة إما عن الأولياء والأنبياء والصلحاء الذين اتخذهم الناس آلهة لهم على رغم أنف هدايتهم وتعليمهم، وإما عن الملائكة والجن الذين اتخذوهم لسوء فهمهم شركاء في الربوبية المهيمنة على قانون الطبيعة ، أو هو عبارة عن تماثيل القوى الخيالية وهيا كلها . التي أصبحت وجهة عبادتهم وقبلة صلواتهم بمجرد إغراء الشيطان والقرآن الكريم يعد جميع أولئك المعبودين باطلاً ويجعل عبادتهم خطأ عظيماً سواءاً تعبدهم الناس أو أطاعوهم أم تألهوا لهم ، ويقول إن جميع من طفقتم تعبدونهم عباد الله وعبيده ، فلا يستحقون أن يُعْبَدوا ولا أنتم مكتسبون من عبادتهم غير الخيبة والمذلة والخزي ، وأن مالكهم في الحقيقة ومالك جميع مافي السماوات والأرض هو الله الواحد ، وبيده كل الأمر وجميع السلطات والصلاحيات ولأجل ذلك لايجدر بالعبادة إلا هو وحده .

(إِنَّ الذينَ تدعونَ مِنْ دون الله عِبادٌ أمثالُكمْ فَادعوهم فليستجيبوا[1] لَكم إِن كُنتم صَادقينَ) . . . . (والذينَ

---

(١) ليس المراد بالاستجابة هنا المجاهرة بالجواب ، بل المراد الإجابة العملية إلى الطلب ، كما أسلفنا الإشارة إليه .

تَدعونَ مِن دونهِ لا يستطيعونَ نصركم ولا أنفُسَهم ينصُرونَ)

(الاعراف: ١٩٤، ١٩٧)

(وقالوا اتَّخذَ الرحمٰنُ ولداً سُبحانَهُ بَلْ عبادٌ مُكرَمونَ.

لايَسبِقونَهُ بالقولِ وهُمْ بأمرِهِ يَعملونَ يَعلمُ ما بينَ أَيديهم

ومَا خَلفَهُمْ ولا يَشفعونَ إلاَّ لمَن ارتضى وهم مِنْ خشيتهِ

مُشفِقونَ[1].) (الأنبياء: ٢٦ - ٢٨)

(وَجَعَلوا الملائكةَ الذينَ هم عِبادُ الرحمنِ إناثاً.)

(الزخرف: ١٩)

(وجَعَلوا بينهُ وبينَ الجِنَّةِ نَسباً وَلقد علمت الجِنَّةُ إِنهم

لمحضَرونَ.) (الصافات: ١٥٨)

(لَنْ يَستنكِفَ المسيحُ أن يكونَ عبداً للهِ وَلا الملائكةُ

المقرَّبونَ، وَمَنْ يَستنكِفْ عَنْ عِبادَتِهِ ويَستكبرْ

فَسيَحشرُهُمْ إليهِ جَميعاً.) (النساء: ١٧٢)

---

(١) المقصود من العباد المكرمين هنا: الملائكة.

(الشَّمسُ والقَمَرُ بحُسبانٍ . والنَّجمُ وَالشَّجرُ يَسجدانِ .)
(الرحمان : ٥ ـ ٦)

(تُسبِّحُ لهُ السَّماواتُ السَّبعُ وَالأَرضُ ومَنْ فيهنَّ ،
وَإِنْ مِن شيءٍ إلاّ يُسبّحُ بحَمده ولكن لاتفقهون تَسبيحهم .)
(الاسراء : ٤٤)

(وَلَهُ مَنْ في السَّماواتِ وَالأَرضِ كل لهُ قانتونَ .)
(الروم : ٢٦)

(مَا مِنْ دَابَّةٍ إلاّ هو آخِذٌ بناصِيَتِها .) (هود : ٥٦)

(إنْ كلُّ مَن في السَّماواتِ والأرضِ إلاَّ آتي الرحمانِ
عَبداً . لقَدْ أَحصَاهُمْ وَعدَّهمْ عداً . وَكلُّهم آتيهِ يومَ القيامَةِ
فرداً .) (مريم : ٩٣ ـ ٩٥)

(قُلِ اللهمَّ مالِكَ المُلكِ تؤتي المُلكَ مَنْ تشاءُ وتنزِعُ
المُلكَ ممن تَشاءُ وتُعزُّ مَنْ تَشاءُ وتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بيدِكَ
الخيرُ إنَّكَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ .) (آل عمران : ٢٦)

كذلك بعد أن يقيم القرآن البرهان على كون جميع من عبدهم الناس بوجه من الوجوه عبيداً لله وعاجزين أمامه ، يدعو جميع الانس والجن إلى أن يعبدوا الله تعالى وحده بكل معنى من معاني (العبادة) المختلفة ، فلا تكن العبدية إلا له ، ولا يطع إلا هو ، ولا يتأله المرء إلا له ، ولا تكن حبة خردل من أي تلك الانواع للعبادة لوجه غير الله !

وَلقَد بعَثنا في كل أمَّةٍ رسولاً أَنِ اعبُدوا اللهَ وَاجتَنبوا الطاغوتَ .) (النحل : ٣٦)

(والذينَ اجتَنبوا الطاغوتَ أَنْ يَعبُدوها وَأَنابوا إلى اللهِ لهم البُشرى .) (الزمر : ١٧)

(أَلَمْ أعهَدْ إِليكُم يابني آدمَ أَن لاتَعبُدوا الشيطَانَ إِنَّهُ لكم عَدوٌ مبينٌ . وَأَنِ اعبدوني هَذا صراطٌ مستقيم .)
(يس : ٦٠ — ٦١)

(اتَّخذوا أحبارَهمْ وَرُهبانَهم أربَاباً مِن دونِ اللهِ)...

(وَما أُمروا إلاّ لِيَعبُدوا إلهاً وَاحِداً .) (التوبة : ٣١)

(يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون .) (البقرة : ١٧٢)

قد أمر الله تعالى في هذه الآيات أن تختص له العبادة التي هي عبارة عن العبدية والعبودية والاطاعة والاذعان ، وقرينة ذلك واضحة في الآيات ، فإن الله تعالى يأمر فيها أن اجتنبوا إطاعة الطاغوت والشيطان والاحبار والرهبان والآباء والاجداد واتركوا عبديتهم جميعاً ، وادخلوا في اطاعة الله الواحد الاحد وعبديته .

(قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين .)

(غافر : ٦٦)

(وقال ربكم ادعوني أستجب لكم . إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين .)

(غافر : ٦٠)

(ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو

سمعوا مَا استجَابوا لَكُمْ وَيَومَ القِيامَةِ يكفرون بِشركِكم.)

(فاطر: ١٣ - ١٤.)

(قُلْ أتَعبدونَ مِنْ دونِ اللهِ مَالا يَملِكُ لَكُمْ ضراً وَلا نَفعاً وَاللهُ هوَ السمِيعُ العَليمُ.) (المائدة: ٧٦)

وقد أمر الله تعالى في هذه الآيات أن تختص له العبادة بمعنى التألـه. وقرينة ذلك أيضاً واضحة في الآية، وهو أن كلمة (العبادة) قد استعملت فيها بمعنى الدعاء. وقد جاء فيما سبق وما لحق من الآيات ذكر الآلهة الذين كانوا يشركونهم بالله تعالى في الربوبية المهيمنة على مافوق الطبيعة.

فالآن ليس من الصعب في شيء على ذي عينين أن يتفطن إلى أنه حيثما ذكرت في القرآن عبادة الله تعالى ولم تكن في الآيات السابقة أو اللاحقة مناسبة تحصر كلمة العبادة في معنى بعينه من المعاني المختلفة للكلمة، فإن المراد بها في جميع هذه الأمكنة معانيها الثلاثة: العبودية والإطاعة والتأله. فانظر في الآيات التالية مثلاً:

(إنني أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنا فَاعبُدْني.) (طه: ١٤)

(ذَلِكُمُ اللهُ ربُّكُمْ لا إِلَهَ إلا هو خَالِقُ كلِّ شيءٍ فَاعبُدوه وَهو عَلى كُلِّ شَيءٍ وَكيلٌ .) (الأنعام : ١٠٢)

(قُلْ يَاأَيُّها النَّاسُ إِن كُنتمْ في شَكٍ مِنْ ديني فلا أَعبدُ الذينَ تَعبُدون مِن دونِ اللهِ وَلكنْ أَعبدُ اللهَ الذي يَتوَفاكُمْ وأُمِرْتُ أنْ أكونَ مِنَ المؤمنينَ)

(يونس : ١٠٤)

(مَا تَعبدونَ مِنْ دونِهِ إلاّ أَسماءً سميتموها أَنتم وآباؤكم ما أَنزلَ اللهُ بها من سلطانٍ . إِنِ الحكمُ إلاّ للهِ أمرَ أَنْ لاتعبُدوا إلاّ إياهُ ذلكَ الدينُ القيِّمُ .) (يوسف : ٤٠)

(ولِلهِ غيبُ السَّماواتِ والأرضِ وإِليهِ يُرجعُ الأمرُ كلهُ فاعبُدْهُ وَتوكلْ عليهِ .) (هود : ١٢٣)

(لهُ مَابينَ أَيدينا وَمَا خَلفنَا وَمَا بَينَ ذلكَ وَمَاكانَ ربُّكَ نسِيّاً . رَبُّ السَّماواتِ وَالأرضِ وَمَا بَينهما فَاعبدْهُ وَاصطبر لعبادتِهِ .) (مريم : ٦٤ ، ٦٥)

فَمَنْ كانَ يَرجو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيعمَلْ عَملاً صَالحاً وَلا يُشرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً .) (الكهف : ١١٠)

فلا داعي لأن تخص كلمة (العبادة) في هذه الآيات وما شاكلها بمعنى التأله وحده أو بمعنى العبدية والإطاعة فحسب . بل الحق أن القرآن في مثل هذه الآيات يعرض دعوته بأكملها . ومن الظاهر أنه ليست دعوة القرآن إلا أن تكون العبدية والاطاعة والتأله ، كل أولئك خالصاً لوجه الله تعالى . ومن ثم إن حصر معاني كلمة (العبادة) في معنى بعينه ، في الحقيقة ، حصر لدعوة القرآن في معان ضيقة . ومن نتائجه المحتومة أن من آمن بدين الله وهو يتصور دعوة القرآن هذا التصور الضيق المحدود ، فإنه لن يتبع تعاليمه إلا اتباعاً ناقصاً محدوداً .